Herodotus' Journal of the Human and Social Sciences	Volume: 9 / N°: 3 (2025), p 180-199

The Military Conflict between the Maghreb Regencs and its Role in Consolidating the Concept of State Sovereignty in the Region during the 17th and 18th Centuries AD

الصراع العسكري بين الإيالات المغاربية ودوره في ترسيخ مفهوم سيادة الدولة في المنطقة خلال القرنين 17 و18م

شرقي عامر*	درعي فاطمة
جامعة معسكر – مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية	جامعة معسكر (الجزائر)
ameur.chergui@univ-mascara.dz	fatima.drai@univ-mascara.d
Orcid :	

Accepted 13/12..../2025 *Received 15/02/2022...*

Abstract:

The conflict formed the dominant nature of the states that appeared in the Maghreb countries, which often ended with the demise of one state and the expansion of the other, and despite the continuity of the conflict in the region between the Maghreb states during the 17th and 18th centuries AD, this did not result in the expansion of any party at the expense of the other. Which represents a distinct historical phenomenon in the history of the Maghreb countries, which during long periods of time witnessed wars between the various countries that appeared in the region and that were seeking geographical expansion.

Keywords:

West Tripoli Regency, Maghreb Regencys, Tunis Regency, Algeria Regency,

الملخص:

شكل الصراع الطابع الغالب على الدويلات التي ظهرت في البلاد المغاربية، والذي انتهى غالبا بزوال إحدى الدول وتوسع الأخرى، وبالرغم من استمرارية صفة الصراع في المنطقة بين الإيالات المغاربية خلال القرنين 17 و 18م، إلا أنّ ذلك لم يترتب عنه توسع أي طرف على حساب الطرف الآخر، وهو ما يمثل ظاهرة تاريخية متميزة في تاريخ البلاد المغاربية التي كانت تشهد خلال فترات زمنية طويلة حروباً بين مختلف الدول التي ظهرت في المنطقة والتي كانت تسعى إلى التوسع الجغرافي.

كلمات مفتاحية: الإيالات المغاربية، إيالة تونس، إيالة طرابلس الغرب، إيالة الجزائر،

1. مقدمة:

تتفق كل الكتابات التاريخية على طابع الصراع والتنافس الذي ميز العلاقات القائمة بين مختلف الكيانات السياسة التي ظهرت في البلاد المغاربية خلال مختلف الفترات التاريخية، والتي أثرت بشكل كبير على استقرار المنطقة وعلى قدرتها في مواكبة التغيرات المتسارعة في الحوض الغربي للمتوسط. إن خاصية الصراع سوف تظهر لنا بشكل مؤثر في أواخر القرنين 15م و 16م حين انشغلت المنطقة في صراعاتها الثنائية وما ترتب عن ذلك من تفكك السلطة المركزية وانكماشها، هذا ما جعلها عاجزة أمام التحديات التي كانت تبرز في الأفق، بداية من تراجع الوجود الإسلامي في الأندلس واندثاره بعد ذلك، وكذا نجاح الإسبان والبرتغال في نقل المعركة تدريجيا إلى الضفة الجنوبية من المتوسط،

ونجاحهما في احتلال العديد من المراكز الساحلية للمنطقة، دون أن نهمل الانعكاسات السلبية للتحول التجاري العالمي من المتوسط إلى المحيط الأطلسي.

وفي خضمّ هذه التحولات سوف تبرز الدولة العثمانية كحامية للعالم الإسلامي وتمد نفوذها على البلاد المغاربية باستثناء المغرب الأقصى، سامحة بتشكل كيان سياسي موحد في المنطقة تحت سلطة البايلرباي في الجزائر، لكن سرعان ما سيلجأ الباب العالي إلى إلغاء هذا النظام وتقسيم المنطقة إلى ثلاثة كيانات سياسية مستقلة عن بعضها البعض وهي إيالة الجزائر وإيالة تونس وإيالة طرابلس الغرب، وبالرغم من تبعيتهم المباشرة ثم الاسمية إلى السلطان العثماني إلا أن ذلك لم يمنع من وقوع الحروب والصراعات بينهم، لكن هذه المرة لم تكن الحروب من أجل الانصهار الذي كان من الممكن أن يتحقق في العديد من المرات، وإنما هذه الحروب حافظت على الوضع القائم في المنطقة، وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل حول مدى نجاح هذه الإيالات في ترسيخ مفهوم الدولة الحديثة في المنطقة، وما قابله من تلاشي تلك الرغبة القديمة في الانصهار وتحقيق حلم الدولة المغاربية الكبرى الموحدة. فهل هذا راجع إلى تبلور مفهوم الدولة الحديثة في مخيلات أصحاب القرار في المنطقة ؟ أم أنهم كانوا يرون أنفسهم ملزمين باحترام إرادة السلطان العثماني الذي قرر في مرحلة معينة تقسيم المنطقة إلى ثلاثة كيانات سياسية مستقلة؟ أم هل كانت الظروف السائدة هي التي تفرض على هذه الإيالات الحفاظ على استقلالية بعضها البعض حتى تكون قادرة على مواجهة مختلف التهديدات؟

2. دور الجزائر في الحفاظ على استقرار البيت المرادي واستمراريته:

إن أول صدام عسكري بين الإيالتين يرجِعُ إلى سنة 1628م، ويعود السبب الرئيسي لهذا الصراع إلى قيام التونسيين بخرق اتفاق الحدود لسنة 1614، فاصطدم الطرفان في معركة سطارة 17 ماي 1628 التي تمكن فيها الجزائريون من إلحاق الهزيمة بالطرف التونسي(العنتري، 2009، ص 35) وإرغامه على توقيع اتفاقٍ لترسيم الحدود بينهما، وقدّ علّق عبد الحميد هنية على هذا الاتفاق أن السلطة المركزية سعت من خلاله " على إرساء " الأسس الأولى للاحتكار الجبائي" والذي سوف تمارسه تدريجيا(هنية، 2016، ص125)، وبناءً على ذلك فإنّ هذا الاتفاق أسّس لنوع جديد من العلاقات بين البلدين، المبنية على الاعتراف المتبادل بمجال النفوذ الجغرافي الذي تمارس فيه كل إيالة سلطتها وبذلك تمّ إيجاد جو من الاستقرار في المنطقة الحدودية، كما انّ هذا الاتفاق قدّ بدّد مخاوف التونسيين – خصوصا- فيما يتعلق ببناء إيالة مغاربية واحدة تنضوي تحت حكمها باقي الإيالات، على غرار دولة الموحدين، وأكّد على أنّ الإيالتين كيانان متساويان ومستقلان عن بعضهما البعض، وبذلك مهدّ لجو من حسن الجوار طيلة السنوات القادمة، حيث شهدت الفترة الممتدة من 1628م إلى غاية سنة 1684م سلاما بين الطرفين. إنّ هذا الهدوء سوف يسمح للإيالتين بالتفرغ لإقرار الأمن وتثبيت سلطتهما داخل مجالهما الجغرافي، وكذا مواجهة الأخطار الخارجية.

وخلال الفترة التي أعقبت اتفاق الحدود لسنة 1628م عرفت العلاقات بين البلدين حالة من الهدوء، لم يُعكرها سوى ما وقع بتونس من اضطرابات أثناء الحرب الأهلية (1675 – 1686)، التي شهدت خلالها تونس صراعا داميا بين أفراد البيت المرادي وهم محمد وعلي أبناء مراد الثاني وعمهما محمد الحفصي، ولم يقتصر هذا الصراع بين أفراد البيت المرادي فقط، بل سوف يتدخل دايات تونس كذلك في هذا الصراع بهدف إضعاف سلطة البايات تمهيدا للقضاء عليهم (سناء،2014 ، ص ص78-79). وفي ظل تطور الصراع تحالف

الأخوان مع فرعي الحنانشة، فتحالف علي باي مع فرع مُنصر أما محمد باي فتحالف مع فرع نَصر(سناء،2014 ، ص ص80-81)، وترتب عن هذا الصراع أن "هَرجت البلاد" وغاب الأمن وكثر قطاع الطرق و"فشا النفاق في الأوطان وتقاسمت الناس وسُدّت الطرقات" (مقديش، 1988، ص 108-116)، وأمام هذا الوضع غير المستقر في إيالة تونس تدخلت الجزائر من أجل وضع حدّ لهذا الصراع، ولما بلغت الأخبار أن داي الجزائر قد جمع قواته في منطقة السرس قام علي باي بعقد الصلح مع الأطراف المتصارعة، ووقع الاتفاق على أن يتولى علي باي حكم تونس واحتفظ محمد الحفصي بلقب الباشوية أما محمد باي (أخ علي باي) فتولى حكم القيروان و الساحل على أنّ يُبقي ابنه رهينة لدى علي باي (سناء،2014 ، ص ص89-90) وتمّ هذا الصلح سنة 1679م(هنية، 2016، ص148).

ولا تشير المصادر التاريخية إلى الأسباب التي كانت وراء هذا التدخل الجزائري، فهل كان هذا التدخل تلقائيا تمليه المصلحة العامة في المنطقة؟ أم أنه كان بإيعاز من الباب العالي؟ أم أن للجزائر أطماعاً توسعية في تونس؟

فبالعودة إلى المصادر التونسية في مقدمتها محمد مقديش، نجدّ أنّه ذكر أنّ باي تونس تبيَّن له "أنّ قصدهم غير ذلك" وهو ما دفعه إلى استشارة "أشياخ البلد" فقالوا له "ندافع عن أنفسنا وأولادنا"، ويُضيف قائلا "وتقوّى طمعهم (أي الجزائريين) في أخذ الكاف"(مقديش، 1988، ص 116-117)، فهل فعلا كان هذا التدخل من أجل تحقيق مكاسب ترابية في تونس؟ وهو الطرح الذي تُؤسس له المصادر التاريخية التونسية فالقيرواني يذكر أنّ أهل تونس"كرهوا" هذا التدخل ويُضيف أنّ الجزائريين "تقوى طمعهم في أخذ الكاف" (سناء،2014،ص93).

وقد فسّرت سناء الطالبي هذا التدخل على أنّه لأهداف توسعية ومن أجل فرض الوصاية على تونس، وأضافت أنّ الجزائريين أرادوا "استغلال الفوضى للنهب"(سناء،2014 ، ص94)، ومن خلال تتبعنا للأحداث فإننا نرى أن الجزائر قد كان لها أسباب أخرى دفعتها للتدخل، هذا التدخل الذي لم يكن في بادئ الأمر عسكريا، حيث يذكر محمد مقديش أنّ داي الجزائر أرسل لمرتين متتاليتين رسالة إلى تونس للإصلاح بين المتحاربين لكن دون جدوى، حينها حرّك الداي قواته داخل الحدود التونسية وبالضبط قرب مدينة الكاف (مقديش، 1988، ص 112-117)، ونفهم من هذا الكلام أنّ قيام الداي بتحريك قواته جاء بعد استنفاذه للمساعي السلمية، وأنّ تلك الخطوة كان الغاية منها هو الضغط على المتصارعين لتجاوز خلافاتهم وهو ما تمّ فعلا حيث إنّه وبمجرد التوصل للصلح عادت محلّة الجزائر إلى أوطانها (مقديش، 1988، ص 117).

ويمكننا أن نفسر التدخل الجزائري في تونس بـ:

- خطورة الصراع داخل إيالة تونس وطول عمره مما يهدد استقرار المنطقة.
- وتورط قبيلة الحنانشة بفرعيها فيه، قد أثار قلق السلطة المركزية في الجزائر من أن ينتقل هذا الصراع من التراب التونسي إلى تراب الإيالة الجزائرية بين فرعي الحنانشة وما قد يترتب عن ذلك من زعزعة استقرار بايلك الشرق.
- إضافة إلى ذلك فإن استمرار هذه الحرب قد يزيد من نفوذ وقوة القبائل بشكل لا يهدد معه السلطة في تونسفحسب بل في الجزائر وباقي الإيالات، لذلك فربما يكون هذا التدخل بإيعاز من السلطة العثمانية نفسها.

- إنّ الفوضى التي كانت تشهدها تونس كانت تخدم السلطة القبلية المحلية أكثر من خدمتها للجزائر، حيث وجدت هذه القبائل في هذا الصراع فرصة لهم للإغارة والنهب والتحرر من رقابة المركز الحاكم، لذلك فإنّنا لا نستبعد أنّ مشايخ البلاد الذين استشارهم علي باي وعبروا عن استعدادهم للدفاع عن أنفسهم، كانوا في الحقيقة يرغبون في الحفاظ على ما حققوه من مكاسب ونفوذ بسبب هذه الحرب.
- كما لا نستبعد أن يكون التدخل الجزائري بهدف قطع الطريق أمام أي تدخل أوروبي في تونس، من شأنه تهديد استقلالها، خاصة وأنّ هذه الفترة شهدت تزايد التحرشات الفرنسية بالإيالتين، حيث كانت البحرية الفرنسية ترابط قرب تونس للضغط عليها للحصول على المزيد من المكاسب، وقد تحققت المخاوف الجزائرية حين قامت فرنسا بتوجيه حملتها بقيادة دوكين على تونس سنة 1683م(مبروكة، 2012، ص ص 72 - 74).

وبالرغم من نجاح الجزائر في وضع حدّ لهذه الحرب، إلا أنّ الخلاف كان قويا وعاد مجددا بين أفراد الأسرة المرادية ودايات تونس الطامعين في استرداد نفوذهم من جهة أخرى (مقديش، 1988، ص 117). وقد تمكن الداي أحمد شلبي (التعليق 1) (1682 – 1686م) من إلحاق الهزيمة بالأخوين لمرتين متتاليتين، وهذا ما دفعهما إلى الاستنجاد بداي الجزائر الذي لبى نداء الدعوة وأرسل قواته لحسم هذا الصراع (عطية، 2017، ص ص 69 -71)، فتمكنت القوات الجزائر ومن يرافقها من قوات الأخوين المراديين من الوصول إلى تونس ومحاصرتها لمدة ثمانية أشهر من سبتمبر 1685 إلى جوان 1686، لينتهي الصراع بمقتل كل من الداي أحمد شلبي وعلي باي وبذلك آل الحكم إلى محمد باي (هنية، 2016، ص 148).

لا تبين لنا المصادر التاريخية سبب التدخل الجزائري للمرة الثانية ونجدتهم للأخوين المراديين، بالرغم من أنّ الداي أحمد شلبي كان يلقى دعما من السلطة العثمانية التي أرسلت وفدا إليه للتأكيد على سلطته (عطية، 2017، ص 70)، كما أنّ نظام الدايات كان مشابها لنظام الدايات الموجود في الجزائر. وهذا ما يدفعنا للتساؤل حول سبب انحياز الجزائر لصالح البايات المراديين على حساب الداي .

حاول الباحث محمد عطية تفسير هذا التدخل بأنه نابع من خوف الجزائر من قدرة الدولة العثمانية في استرجاع نفوذها على إيالات شمال إفريقيا من خلال دعمها للداي أحمد شلبي، لذلك فإن تدخل الجزائر كان بهدف إفشال المحاولات العثمانية، كما أضاف سببا آخر وهو أنّ الداي حسن ميزومورتو (التعليق 2) (1683- 1686م) كان غاضبا من أحمد شلبي لقتله لجنديين جزائريين بتهمة ارتكاب الفاحشة، فكان ذلك سببا للجزائر للانتقام من هذا الداي (عطية، 2016، ص 71). وتشير المصادر الجزائرية إلى سبب آخر يتمثل في أنّ الجزائر كانت تواجه عدة قلائل كانت "من إيحاء باي تونس" فقام حسن ميزومورتو بتوجيه "جيشا تحت قيادة إبراهيم خوجة مصحوبا بأخوي الباي التونسي، قد كانا يُنازعانه العرش" (ابن ميمون، 2018، ص19)، والظاهر من هذا أنّ أحد المتصارعين في تونس تسبب في إثارة المشاكل في الجزائر مما دفع حسن ميزومورتو إلى خوض معاركها في شوارع المدينة بنفسه وجرح خلالها أكثر من مرة (عباد، 2007، ص146)، والراجح أنّ المتسبب في ذلك هو الداي أحمد شلبي كونه كان هو الحاكم الفعلي في تونس وأنّ الجزائر قد سيّرت حملتها العسكرية ضدّه. وإن أخذنا بصحة هذا التفسير فما الذي دفع الداي أحمد شلبي إلى التصرف بعدوانية اتجاه الجزائر؟ إننا نجهل تفاصيل أكثر حول

هذه الحادثة التي ربما كانت سببا في قرار الجزائر مناصرة الأخوين ضدّ أحمد شلبي. خاصة إذا علمنا أنّه في بداية الصراع كانت الجزائر منحازة لصفّ الداي (سناء، 2014، ص 93).

ولا نستبعد أنّ تكون للإغراءات التي قدمها الأخوان لداي الجزائر محفزا شجعه لمناصرتهما وإعلان الحرب ضدّ الداي أحمد شلبي، فبعد الانتصار على الداي أحمد شلبي ومقتل علي باي قام محمد باي بتوديع داي الجزائر إلى غاية الحدّ الفاصل بين البلدين، وقد زوده بالهدايا وفاءً منه بما كان قد وعده من قبل مقابل مساعدته له (روسو، د- س، ص 139).

مما سبق فإن التدخل الجزائري في تونس ساهم إلى حدّ كبير في إنهاء تلك الحرب الأهلية الدامية، وبالتالي اعادة الاستقرار إلى المنطقة. فهذا التدخل جاء لاحتواء الفوضى التي أفرزتها تلك الحرب والتي كان من الممكن أن تنتقل إلى الجزائر، خاصة وأنّ أكبر قبيلة في بايلك الشرق وهي الحنانشة بفرعيها كانت طرفا في الحرب الأهلية التونسية.

إن أغلب الكتابات التونسية التي فسرت هذا التدخل على أنه نابع من الرغبة في التوسع في تونس والحصول على الغنائم، قد تغاضوا عن الكيفية التي انتهى بها هذا التدخل، فالجزائر بعد أنّ تأكدت من انتهاء الحرب سحبت قواتها من تونس وبذلك حافظت على استمرار وجود الدولة في تونس، فلولا هذا التدخل لزالت هيبة الدولة ولزال معها البيت المرادي وهذا ما يتيح للقبائل بأن تقوم بالنهب والإغارة، ليس هذا فقط بل كانت تونس أمام الخطر الفرنسي الذي ما كانت لتواجهه بجبهة داخلية منقسمة على نفسها، كما أنّ التدخل الجزائري قطع الطريق أمام القوى الأجنبية المعادية للتدخل لمناصرة أحد الأطراف المتصارعة، مقابل ما يمكن تقديمه من تنازلات.

3. التحالف الجزائري الطرابلسي ضدّ تونس:

سوف يتكرر الصراع بين الإيالات، وهذه المرة ضدّ محمد باي باشا تونس، حيث ستتحالف الجزائر مع إيالة طرابلس ضدّ باي تونس. وترجع أسباب هذه الحرب إلى قيام أحد أفراد الأسرة المرادية وهو محمد بن شكر (التعليق 3) (1694- 1695م) بتحريض داي الجزائر شعبان داي (التعليق 4) (1688 -1695) لمساندته لتولي حكم تونس، وفي نفس الوقت قام محمد بن شكر بمراسلة باشا طرابلس محمد باشا الإمام (التعليق 5) يخبره فيها أنّ محمد باي يريد الاستيلاء على الجزائر وطرابلس (سناء، 216، ص 105) ، فقام داي الجزائر بإرسال القسم الأول من قواته بحرا في 10 سفن إلى عنابة في المقابل أرسل حاكم طرابلس أربع سفن حربية إلى عنابة أين التقت بالقوات الجزائرية (بالحميسي، د – س، ص 51)، وسار الجيشان نحو تونس.

لما بلغت أخبار الحملة الجزائرية الطرابلسية إلى مسامع محمد باي قام بتجهيز قواته التي بلغت 14 ألفَ مقاتل وسار بها لملاقاة الجيشين (روسو، د – س، ص 141). حيث جرت بينهما معركة بالقرب من الحدود في الثالث من ذي القعدة سنة 1105هـ (26 جوان 1694م) (مقديش، 1988، ص136)، لتتوجّه القوات الجزائرية الطرابلسية إلى تونس أين فرضت عليها حصارا انتهى بفرار محمد باي إلى الصحراء يوم 14 من ربيع الأول سنة 1106هـ وبذلك أصبح محمد بن شكر بايا على تونس(المسعودي، 2012، ص234)، وبانتهاء هذه الحرب مباشرة عادت القوات الجزائرية والطرابلسية إلى أراضيها.

إنّ البحث في أسباب هذه الحرب صعب في ظل عدم تطرق المصادر المحلية لها، فأغلب المصادر أشارت إلى الدور الذي قام به ابن شكر في تحريض داي الجزائر وباشا طرابلس ضدّ باي تونس، ويضيف الباجي المسعودي إلى أن داي الجزائر اشترط على ابن شكر"شروطا

وأموالا " مقابل مساعدته على ما يطلب (المسعودي، 2012، ص234). فماهي تلك الشروط؟ وهل كانت الأموال وراء التدخل العسكري الجزائري في تونس؟

بالعودة إلى رواية ابن غلبون يذكر أنّ محمد الامام باشا طرابلس الغرب هو من راسل داي الجزائر يطلب منه مساعدته على تونس، وسبب ذلك أنّ محمد باي جمع حوالي 40 ألفاً من الترك وطلب من باشا طرابلس أن يعطيه خراج من هو من أهل تونس الساكنين بطرابلس، فما كان من باشا طرابلس إلا الاستنجاد بداي الجزائر(ابن غلبون، 1349، ص54-55).

وبالرغم من اختلاف الرواية المحلية التونسية والطرابلسية إلا أننا نعتقد بأنه كان هناك جو من الارتياب لدى باشا طرابلس من محمد باي التونسي، هذا الارتياب هو الذي حاول محمد بن شكر استغلاله لتحريض باي طرابلس وداي الجزائر (التعليق 6) ضدّ محمد باي تونس. كما تشير المصادر إلى أنّ الداي شعبان استنكر قيام باي تونس بتحريض القبائل الحدودية للانضمام إليه، و استيلائه على أجزاء من إيالة الجزائر وأجزاء أخرى من إيالة طرابلس(بالحميسي، د – س، ص56). ولا يُمكن أن نتجاهل علاقات التحالف التي أقامها محمد باي ضدّ الجزائر من خلال تحالفه مع السلطان المغربي المولى إسماعيل (التعليق 7) (1672- 1727م)، وبتحريض من الإنجليز والهولنديين ضدّ الجزائر (هلايلي، 2008، ص62).

نحن نرجح الرواية الليبية، التي أشارت إلى رغبة باي تونس في مدّ نفوذه إلى طرابلس الغرب، وهو ما يعتبر تجاوزاً لسيادة الإيالة وعدم احترام لما بينهما من مواثيق وحدود، وبالتالي قبول الجزائر إعلان الحرب جاء للحفاظ على توازن القوى في المنطقة، وللحيلولة دون ظهور دولة قوية ذات نزعة توسعية تهدد استقلال الجميع، وما قد يترتب عن ذلك من تحالفات مع مختلف القوى الأجنبية.

4. التحالف التونسي الطرابلسي ضدّ الجزائر:

كانت تونس تعيش استقرارا هشا، إذ ما فتئ أن تحول الوضع فيها من الهدوء إلى اللّاستقرار، فقد تولى الباي مراد الثالث (التعليق 8) الحكم في تونس بعد ثورة قادها ضدّ عمه رمضان باي الذي اشتهر بعلاقته الحسنة مع حكام الجزائر، وبمجرد توليه للسلطة عمد الباي الجديد إلى تثبيت سلطانه بحدّ السيف فشاع في البلاد القتل والانتقام من مؤيدي عمه، في نفس الوقت فإن الباي مراد الثالث لم يُغفل أهمية استمالة الجزائر إلى جانبه، فقام بإرسال هدية إلى داي الجزائر، إلا أنّ هذا الأخير رفض تلك الهدية وأظهر له "العداوة لما بلغهم من قبائح أفعاله..." (مقديش، 1988، ص 144). وهو ما أثار مخاوف باي تونس، خاصة وأن داي الجزائر كان قد هدد بتوجيه حملة إلى تونس لإيقاف الجرائم التي يرتكبها باي تونس(بن خروف، 2017، ص42) الذي :"ضيّق الأمر على العباد وتعطلت الأحكام الشرعية...فهلكت البلاد" (مقديش، 1988، ص144).

وفعلا سيّر مراد باي حملته على الشرق الجزائري في أوائل جوان 1700، وقبل تحركه أمر بإجلاء الجزائريين المتواجدين بمدينة بنزرت إلى بلادهم (بن خروف، 2017، ص16)، كما استعان مراد باي بباشا طرابلس خليل باشا الذي قدم "في جموعه وهو على قسنطينة" حيث كان في جيشه 1000 فارس (Plantet , 1894 ,P 4) وشارك في محاصرة المدينة، لكن داي الجزائر تمكن من إلحاق الهزيمة بالطرفين

في معركة جوامع العلماء في 03 أكتوبر 1700 (بن خروف، 2017، ص19). لسنا بصدد البحث في مجريات هذه المعركة بقدر ما يهمنا التعرف على أسبابها وآثارها على أمن واستقرار المنطقة.

إن هذه الحرب هددت بشكل كبير استقرار المنطقة ويتجلى ذلك في:

استنجاد باي تونس بالطرف الفرنسي، طالبا منه البارود والعتاد الحربي (بن خروف، 2017، ص14) ، وفي هذا الصدد سوف يقوم الفرنسيون بتزويده بـ 12 ألف بياستر لدفع مرتبات جنوده (Plantet , 1894 ,P 3)، إن مثل هذا التدخل الفرنسي ومساعدته للطرف التونسي من شأنه أن يفتح الباب للمزيد من التدخلات بل والمساومات في المستقبل.

ترتب عن هذه الحرب أن اضطربت الأوضاع في تونس بسبب تخوف مراد باي من قيام الجزائر بحملة ضدّه فأمر بترحيل الأهالي والسكان الواقعين على الطريق التي اعتادت القوات الجزائرية أن تسلكها عند غزوها لتونس، وفرض على السكان دفع مساهمات مالية، كما أمر سكان الشرق التونسي بأن يأتوا بغلالهم وحبوبهم إلى تونس ويحرقوا ما لا يمكن نقله كي لا يستفيد منه الجزائريون (بن خروف، 2017،ص 26 – 27). ومما لا شكّ فيه أن سلوكا مثل هذا سوف يؤثر على العلاقة بين السلطة والسكان المحليين، فمثل هذه السياسات دفعت سكان طبرقة أن يثوروا ضدّ الباي في أكتوبر 1701 (بن خروف، 2017،ص 32 – 33). إن حالة التوتر واللااستقرار سوف تؤثر على ولاء الجيش للباي نفسه، هذا الأخير الذي سوف يدفع حياته ثمنا لذلك، إذ قرر الباي أن يسير بمحلته لغزو الجزائر "ولم يرتض ذلك أحد من العسكر" حيث سوف يقوم إبراهيم الشريف آغا صبايحية الترك بقتل مراد باي وقتل كل أبنائه (مقديش، 1988، ص146 – 147).

وبمقتل الباي مراد توقفت حملته ضدّ الجزائر، في المقابل تراجع الجزائريون عن حملتهم ضدّ مراد باي، لتدخل بذلك العلاقات بين الطرفين حالة من السلام المؤقة. وكان لهذه الحرب عدة انعكاسات، ففي الجزائر ثارت الإنكشارية وعزلت الداي حسين شاوش وعينت مكانه الداي مصطفى، وفي الجهة الغربية استغلال سلطان المغرب الأقصى المولى إسماعيل انشغال الجزائر بحربها ضدّ التونسيين، ليقوم بحملة توسعية في الغرب الجزائري.

وأما في تونس، وبعد خسارتهم وحلفائهم قام مراد باي بالسماح لقوات خليل باشا بنهب مدينة القيروان "ثم كافأ خليل باشا والي طرابلس بأن أباح له "القيروان "وأطلق يده فيها..." (الأنصاري، د – س، ص280) ويضيف لنا محمد مقديش ما وقع بالقيروان فيقول :"ورجع جند طرابلس ومعهم أبناء المسلمين من القيروان وبناتهم، وأمر مراد باي بهدم القيروان لتُجعل محترثا عدا المساجد والزوايا" (مقديش، 1988، ص146).

وعلى الرغم من نجاح القوات الجزائرية في إلحاق الهزيمة بالطرف التونسي، إلا أنّها لم تقم بمطاردة باي تونس، مكتفية بإجباره على الانسحاب إلى خارج الإيالة، وذلك راجع ربما لرغبة داي الجزائر إلى التفرغ لمواجهة الخطر العلوي في الغرب الجزائري، حيث تنقل بقواته إلى الغرب لوقف زحف المولى إسماعيل (عطية، 2020، ص152).

أما في طرابلس الغرب فلم يكن الوضع بالجيد، ففي 19 أفريل 1701 ثارت الإنكشارية بقيادة عثمان القهواجي ضدّ الداي محمد الإمام، ليُصبح عثمان القهواجي (التعليق 9) دايا على طرابلس الغرب، فلما بلغت الأخبار إلى الإنكشارية تخلت عن خليل باشا الذي كان يُعسكر خارج مدينة طرابلس (التعليق 10). وقد جاء في رسالة فرنسية مؤرخة في 8 جوان 1701 تذكر أن خليل باشا قد قدم إلى تونس يوم 15 ماي من نفس السنة، أين استقبله مراد باي استقبالا حارا (Plantet , 1894 ,P 13).

ولم يستقر حكم الباشا الجديد في طرابلس الغرب حيث ثارت عليه الإنكشارية في 10 أوت 1701، واندلعت داخل مدينة طرابلس حرب شوارع دامت أربعة أيام انتهت بنفي عثمان القهواجي وتعيين مصطفى غليوبولي باشا على طرابلس (فيرو،1994، ص ص238 - 240).

وفي 29 جويلية 1702 عاد خليل باشا الأرنؤوطي إلى طرابلس من بر الترك حيث نجح في دخول المدينة بعد مناوشات خفيفة انتهت قوات الباشا المخلوع (فيرو،1994، ص 241)، وفي ظل عدم استقرار الأوضاع في البلاد ثار سكان جبل غريان إلا أن خليل باشا نجح في قمعهم وإخماد ثورتهم (ابن غلبون، 1349، ص153).

إن هذه الحرب قد هددت بشكل كبير استقرار الإيالات الثلاثة لما نتج عنها من تغييرات سياسية وإعادة ترتيب العلاقات فيما بينها، فحدث وفاق جزائري تونسي يقابله عداء طرابلسي تونسي.

5. الوفاق الجزائري التونسي:

بتولي إبراهيم الشريف للسلطة في تونس، زالت أسباب الحرب بين الإيالتين، بل توجهتا إلى خلق جو من السلام الذي كان ضرورياً لكليهما، ومن أجل إظهار حسن النوايا قام باش تونس بالترحيب بالجزائريين وكذا الطرابلسيين الراغبين في التجارة في تونس(بن خروف، 2017، ص39)، وذلك خلافا لسابقه الذي طرد الجزائريين المتواجدين ببنزرت. كما أرسل بعثة إلى الجزائر لطلب السلم من حكامها، وقد عادت هذه البعثة في 26 جويلية 1702 محملة برسائل الودّ لتعبر عن رغبة حكام الجزائر في إقامة السلام(بن خروف، 2017، ص39).

وكردّ فعل أرسلت الجزائر ببعثة تحمل هدية إلى الباشا الجديد تضمنت : حصانين ومهرين وجلود نمور وغيرها، وقد استقبلها الباشا بالملابس من القماش الصوفي وغيرها، وأمر بأن يزودوا البحارة الجزائريين الذين توقفوا بسفنهم بغار الملح بكل ما يلزمهم ويكفيهم لمدة شهرين(بن خروف، 2017، ص40).

6. الصراع التونسي الطرابلسي.

لم تكن العلاقات التونسية الطرابلسية تسير بشكل حسن، فمنذ تولي ابراهيم باشا للحكم في تونس، أسرّ العداء لباشا طرابلس خليل باشا الأرنؤوطي وذلك بسبب علاقته الوطيدة بمراد باي (ابن غلبون، 1349، ص157)، هذا العداء الذي سوف يطفو إلى السطح أكثر سنة 1116هـ (حوالي 1704م) حيث وصلت هدايا من مصر إلى إبراهيم الشريف (التعليق 11)، فاستولى عليها خليل باشا الأرنؤوطي، ورفض ردّها إلى صاحبها، وقد تكرر الأمر مرة أخرى حين استولى باشا طرابلس على سفينة تونسية كانت قد دخلت إلى طرابلس بعد أن غنمت في البحر، فأخذ منها حمولتها ثم طردها من الميناء، فلما بلغ ذلك إلى حاكم تونس أعلن الحرب ضدّ طرابلس (مقديش، 1988، ص150 - 151).

خرجت القوات التونسية يوم 25 أكتوبر 1704 لغزو طرابلس بجيش قوامه 10 آلاف رجل (plantet, 1894, P22) ، وقد وقعت الحرب بين الطرفين قبالة مدينة طرابلس انتهت بانهزام قوات خليل باشا، وانسحابه إلى مدينة طرابلس، حيث قام التونسيون بفرض حصار على المدينة، وما زاد الوضع سوءاً هو انتشار الطاعون بين القوات التونسية والذي كان سببا في انسحابهم (الأنصاري، د – س،

ص281). واستمر الحصار أربعة وثلاثين يوما ليضطر في الأخير إبراهيم الشريف إلى سحب قواته في 19 جانفي 1705م (فيرو، 1994، ص248). ويذكر محمد مقديش أن سبب الانسحاب هو أن باشا تونس قد بلغه استعداد الجزائر لغزو تونس، فرأى أنه من الحكمة العودة لتحصين إيالته وحماية ملكه (مقديش، 1988، ص152).

وبالحديث عن الجزائر فلا بدّ لنا أن نتعرف على موقفها من هذه الحرب، ففي الحلل السندية ذكر صاحبها أن داي الجزائر مصطفى باشا(1704 -1705) عمل على تغذية الصراع بين الطرفين واعدا كل طرف بالنصرة (مقديش، 1988، ص151)، ومعلوم أنّ هذه الحرب كانت تخدم الطرف الجزائري لأن فيها إضعافاً للطرفين المتصارعين وكذا قطع الطريق أمام أي تحالف مستقبلي بينهما ضدّ الجزائر. لكن ما هو سبب قيام الجزائر بتوجيه حملة ضدّ تونس في هذا الوقت بالذات، خاصة وأن العلاقة بينها وبين إبراهيم الشريف كانت حسنة وهادئة؟.

يُرجع روسو "**Rousseau**" سبب تلك الحرب إلى أنّ الجزائر كانت تعاني من عجز في خزينتها، فراحت تبحث عن سبب لإعلان القطيعة مع تونس، لكي تعلن الحرب عليها لسدّ عجز خزينتها. وصادف أن طلبت من تونس أن تزودها بالقمح كون المحصول الجزائري كان سيئا للغاية (روسو، د – س، ص153)، فكان ردّ باشا تونس بأن أرسل كميات قليلة منه فقط تتمثل في 200 قنطار، وهو ما أثار غضب ديوان الجزائر الذي رأى في مثل هذا التصرف إضعافا لعساكر الجزائر(مقديش، 1988، ص151).

وإن كان هذا سببا لإثارة الحرب، فلابدّ لنا أن نتساءل عن سبب تأخر الحملة الجزائرية ضدّ تونس، إلى ما بعد رجوع أبراهيم الشريف من حملته على طرابلس والتي استغرقت 54 يوما. فالجزائر لم تستغل غياب القوات التونسية خارج الإيالة لتحقيق نصر سهل ضدها، بل فضّلت التريث وهو ما يترك علامة استفهام.

إن التريث في إعلان الحرب ضدّ تونس قدّم للجزائر خدمة كبيرة، فمن جهة استغلت تونس من أجل القضاء عل حكم خليل باشا في طرابلس، والذي عُرف بطموحه وما يُكنّه من عداء للجزائر كونه تحالف مع مراد باي سنة 1700 ضدّها. وما يدعم هذا الطرح أنّ داي الجزائر أرسل مع إبراهيم الشريف باشا طرابلس السابق عثمان القهواجي الذي ليرافقه أثناء حملته على طرابلس(مقديش، 1988، ص151).

من جهة أخرى فإن باشا تونس قد ورث عن سلفه جيشا قويا، لابد من إضعافه وذلك بإنهاكه وتوريطه في الحرب ضدّ طرابلس الغرب، وفعلا هذا الذي حصل حيث تكبد الطرف التونسي خسارة كبيرة، إذ فقد حوالي 1500 مقاتل و 800 جريح، فضلا عن تكاليف ونفقات الحرب، بالإضافة إلى ذلك فقد تفشّى الطاعون في وسط الجيش التونسي فضعفت معنوياته وفرّ الكثير من الجنود من الخدمة (فيرو، 1994، ص249). وبالتالي فإن هذا الجيش سوف يُصبح منهكا غير مستعد لتحمل حرب أخرى وهو ما يخدم الجزائر.

من جهة أخرى فإن الجزائر قد ضمنت بفضل هذه الحرب عدم تشكل أي تحالف بين خليل باشا وابراهيم الشريف مستقبلا ضدّ الجزائر، وعليه فقد تشكل عقب هذه الحملة نوعا من التحالف والاتصالات بين الجزائر وطرابلس الغرب(Plantet , 1894 ,P 25).

اندلعت الحرب بين الطرف الجزائري والتونسي يوم 13 جويلية 1705، والتي انتهت لصالح الجزائريين وأُسر خلالها إبراهيم الشريف وتولى من بعده حسين بن علي الحكم في تونس وأخذ يُجهز البلاد لردّ الحملة الجزائرية (بن خروف، 2017، ص46).

لقد ترتب عن هذا الصراع أن تغيرت السلطة الحاكمة مرة أخرى في كل من تونس والجزائر، فبعد رجوع الداي إلى الجزائر تم ذبحه وتولى حسن خوجة شريف الحكم من بعده (ابن المفتي، 2009، ص 59). إن النهاية التي انتهى إليها الداي مصطفى باشا (1704 – 1705) تبين لنا مدى هشاشة الوضع في الجزائر وعدم استقراره.

7. استقرار العلاقات بين الإيالات الثلاثة 1705 –1732

بعد الاضطرابات التي عرفتها المنطقة خلال العقد الأخير من القرن 17م وبدايات القرن 18م، اتجهت المنطقة نحو الهدوء والاستقرار في العلاقات القائمة بين الإيالات الثلاثة. ويمكننا أن نلاحظ ذلك الهدوء والاستقرار خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة في ما يلي:

في صيف سنة 1706 وقع التونسيون والجزائريون اتفاق سلام، متناسين بذلك حجم الخلافات التي كانت بينهم (بن خروف، 2017، ص68). وما عزّز هذا السلام هو أن باشا تونس قدّ دعّم محد بكداش للإطاحة بالداي حسن خوجة "فأعطاهم الزاد والخيل" (ابن ميمون، 2018، ص 138). لذك وخلال فترة حكم الداي محمد بكداش سوف لن يصدر منه ما قد يعكر العلاقة بينه وبين باشا تونس ردا للجميل الذي قدمه هذا الأخير له.

وخلال هذه الفترة حدث تعاون فعلي بين الإيالتين يتمثل في حربهما ضدّ قبيلة الحنانشة خلال سنتي 1714و 1728، كما سعت الإيالتين إلى حل بعض مشاكلها بشكل سلمي حفاظا على الهدوء القائم بينهما على غرار حادثة الأسرى الجنويين، والتي فضّل الطرفان الحل السلمي لها.

وعلى الرغم من السلام بين الطرفين إلا أنه لم يرقَ إلى التعاون الحقيقي، خاصة وأنه كانت هناك عدة مناسبات لتحقيق ذلك، في مقدمتها انشغال الجزائر بالاستعداد لتحرير وهران، فعملية كهذه كانت تتطلب مجهودات كبيرة ففي الوقت الذي نرى أن سلطان المغرب أرسل ما يقارب 200 قنطار من البارود فإن باي تونس لم يصدر منه أي شكل من أشكال المساعدة، وهو ما يُعزز من صحة الطرح القائل بأن السلام القائم بين الطرفين كان مصحوبا بالتخوف والحذر (بن خروف، 2017، ص 70).

ولقد وقعت عدة حوادث كان من الممكن أن تعكر صفو العلاقة بينهما إلا أن ذلك لم يحدث، في مقدمتها فرار باي قسنطينة حسن باي دنقزلي (1710م) بالدنوش إلى تونس (حصام ، 2013، ص 46)، وكذا قضية الأسرى الجنويين والتي فضّل الطرفان اللجوء إلى الدولة العثمانية لحلها، وبالإضافة إلى لجوء علي باشا (التعليق 12) بن أخ باشا تونس إلى الجزائر (بن خروف، 2017، ص 71 – 72)، ورغم ذلك لم تتطور الأمور إلى حدّ الصراع، وذلك لعدة أسباب في مقدمتها أن كلا الطرفين كان بحاجة إلى السلام لمواجهة المشاكل الداخلية التي كانت تعاني منها الإيالتان، ففي الجزائر لم تكن الأوضاع مستقرة، حيث ثارت الإنكشارية بسبب تردي الأوضاع الاقتصادية وقامت بقتل الداي محمد بكداش وكذا الداي دالي ابراهيم الذي لم يدم حكمه سوى خمسة أشهر(حصام ،2013، ص 46). في المقابل فإن باشا تونس كان منشغلا بتثبيت حكمه ومواجهة الداي محمد خوجة الأصفر ، حيث تمكن من قطع رأسه ورأس إبراهيم الشريف سنة 1706 (روسو، د – س، ص166)، بالإضافة إلى اضطراب العلاقات مع فرنسا، ولعل أبرز حدث شغل باشا تونس هو تمرد ابن أخيه علي باشا الذي اعتصم بجبل وسلات إذ لم يتمكن باشا تونس من القضاء على ثورة ابن أخيه إلا بشق الأنفس، ليضطره في الأخير إلى الفرار

إلى الجزائر، ويذكر ابن أبي الضياف أن داي الجزائر قام بسجن علي باشا لأن هذا الداي كان متحالفا مع حسين بن علي باشا، وقد عمل باشا تونس على استمالة داي الجزائر وحثه على قتل علي باشا، غير أنّ الداي وعد باشا تونس بأن يُبقي علي باشا في السجن شريطة أن يدفع له إتاوة قدرها 10 آلاف ريال بندقي فوافق باشا تونس، والتزم بالدفع لبضع سنوات فقط، فلما حلت سنة 1735 توقف عند دفع تلك الإتاوة فكان ذلك سببا لنشوب الحرب بينهما (روسو، د – س، ص177)، في حين يذكر ابن العنتري رواية غير ذلك مفادها أن علي باشا قد فرّ إلى الجزائر واستغاث بداياتها، فقبل هذا الأخير مناصرته وأعلن الحرب ضدّ باشا تونس (ابن العنتري، 2009، ص 54).

8. الفتنة الحسينية وأثرها على استقرار المنطقة:

مرت هذه الحرب الأهلية بثلاثة مراحل، في المرحلة الأولى ما بين 1728 إلى 1729بين حسين بن علي باي تونس و ابن أخيه علي باشا حيث التزمت فيها الجزائر بالحياد، وذلك نظرا لانشغالها بأوضاعها الداخلية إلى درجة أنّها لم تتخذ أي ردة فعل بخصوص تخطي باي تونس للحدود الجزائرية لملاحقة بعض القبائل الحدودية الجزائرية، وقد كانت هناك بعض المراسلات بين باي تونس وباي قسنطينة أدت إلى توقيع اتفاق بينهما عام 1728م (بن خروف، 2017، ص84- 85). إنّ بقاء الجزائر بعيدة عن الصراع حول السلطة في تونس لم يدم طويلا حيث سوف تتدخل في المرحلة الثانية من الصراع 1735- 1740م لمساندة علي باشا ضدّ حسين بن علي(سحابات،2010، ص 120). ومن الأسباب التي كانت وراء هذا التدخل، هو تخاذل باي تونس (حسين بن علي) في تقديم المساعدة التي طلبها منه داي الجزائر للدفاع عن وهران ضدّ الغزو الإسباني واتهامه بمظاهرة الإسبان ضدّ الجزائر(بن خروف، 2017، ص87- 88)، هذا ما أدى إلى انحياز داي الجزائر لصالح علي باشا في حربه ضدّ عمه. لقد كان لهذه الحرب آثار وخيمة على استقرار المنطقة، إذ هدّدت الوحدة الترابية لتونس بانقسامها بين الطرفين المتصارعين، وتخريب القيروان والمنستير وسوسة وارتفاع الأسعار بتونس واشتداد الحال بالناس(مقديش، 1988، ص164)، بالإضافة إلى التحرش الفرنسي بجزيرة طبرقة سنة 1742م. وجراء هذه الحرب ومقابل التدخل الجزائري فإنّ علي باشا قد تعهد بأن يكون تابعا للجزائر وأن يلتزم بدفع إتاوة سنوية لها (بن خروف، 2017، ص93).

استمر الصراع داخل البيت الحسيني وهذه المرة بين علي باشا وابنه يونس باي إلا أن الجزائر التزمت بالحياد مرة أخرى، لكنها سوف تتدخل عام 1756م لمساندة أبناء حسين بن علي للقضاء على حكم علي باشا، هذا الأخير الذي لم يفِ بالتزاماته المالية اتجاه الجزائر(عطية، 2020، ص103-105).

ساهم التدخل الجزائري في تونس في إعادة الهدوء للبلاد والقضاء على حالة الفوضى التي عاشتها البلاد، كما كان له عدة انعكاسات على العلاقات بين الإيالتين المتجاورتين أبرزها:

- تعترف تونس بسيادة الجزائر وتصبح تابعة لها وألّا تعصي لها أمرا.
- دفع ضريبة سنوية إلى حكومة الجزائر.
- دفع تعويضات مصاريف الحملة.
- الالتزام بعدم إعادة بناء ما هدم من تحصينات في الحدود التونسية.
- عندما يصل أحد مراكب الجزائر إلى ميناء تونس فإنّ قائد المركب هو الذي يتولى قيادة الميناء طوال المدّة التي يقيمونها هناك.

- يحظى كل من وكيل الجزائر ووكيل قسنطينة بالاحترام كسفراء البلاطات الأوروبية(سحابات،2010، ص 126).

ولقد شرع باي تونس في دفع تعويضات الحملة دون تأخير، حيث دفع "حوالي 33 بندقي فدوة النصراني الجنوي و 73 سلطاني ذهب و20فردة متاع الرحى"، وفي خطابه له مؤرخ في أواخر رجب 1171هـ (حوالي 1758م) فقد وصف داي الجزائر باي تونس بقوله "ونحن أوجاق واحدة وأنت ابننا ومنا وإلينا"، وهنا يظهر لنا نوع العلاقة حيث صار داي الجزائر ينظر لباي تونس على أنه مجرد تابع له (أوت، السلسلة التاريخية **H**، 212، ملف 229).

مرة أخرى كان لهذه الحرب انعكاسات هامة على نوع العلاقة بين الطرف التونسي والجزائري فمن جهة كان لهذه الحرب فضل في تثبيت البيت الحسيني الذي أصبح أكثر ارتباطا بمجاله الترابي بسبب التحام الأطراف المتصارعة مع مختلف القوى المحلية وإشراكها في بناء السلطة المركزية على عكس السلطة في الجزائر التي ظلت مرتبطة بالأناضول، متعمدة تهميش القوى المحلية وهو ما رسخ شعور الغربة بين الطرفين.

من جهة أخرى فإن التدخل الجزائري في هذه الحرب أسس لنوع جديد من العلاقات القائمة على تقديم الهدايا ودفع الإتاوات لحكام الجزائر، كنوع من العرفان بالدور الجزائري، هذه الإتاوات التي سوف تصبح عبئا على باشاوات تونس ومع مرور الوقت تؤدي إلى نشوب الصراع بين الطرفين من جديد.

9. خاتمة:

بناءً على ما تم عرضه من معلومات تخصّ مظاهر التعاون بين الإيالات وجهودها في حفظ وضمان الأمن في المنطقة، ومدى تأثر العلاقات بينها بعلاقاتها الخارجية، خلصنا إلى مجموعة من النتائج نذكرها في ما يلي :

- إنّ تقلب العلاقات وعدم استقرارها بين الإيالات المغاربية ، واندلاع عدة صراعات عسكرية بينها،لم يترتب عنه أي تغيير جغرافي، بل إن تلك الحروب حافظت على استمرارية ووجود الإيالات الثلاث ككيانات سياسية مستقلة عن بعضها البعض.
- بالرغم من أنّ الجزائر كانت صاحبة اليد العليا في المنطقة إلا أنها لم تحاول توحيد الإيالات تحت سلطة مركزية واحدة، وتبقى أسباب ذلك جدّ مبهمة، وربما يمكن إرجاعها إلى طبيعة الحاكم في الجزائر الذي كان يعتبر نفسه مجرد رجل لإدارة البلاد ودفع مرتبات الجيش وتنظيم الغزو البحري، كما كان لتفرغ الجزائر بمواجهة الأخطار الخارجية سببٌ شغلها عن القيام بأي توسع جغرافي في المنطقة، بالإضافة إلى طبيعة إيالة الجزائر كونها دولة يغلب عليها النشاط البحري الذي كان يدرُّ عليها أموالا كبيرة، في المقابل كانت دواخل البلاد تعرف في كثير من الأحيان العديد من الاضطرابات، وبالتالي فإن إدارة منطقة شاسعة جغرافيا (الإيالات الثلاث) في ظل هشاشة السلطة المركزية في الجزائر وفي ظل التهديدات الكثيرة، ما كان إلا ليزيد من مشاكل البلاد وأعبائها. وهذا عكس ما تروج له الكثير من الكتابات و الدراسات التي ترى أنّ التدخلات الجزائرية كانت لأهداف توسعية.
- لقد حاولت القوى المعادية سواء الإقليمية أو الأوروبية استغلال حالة الصراع بين الإيالات الثلاثة من أجل تحقيق أطماعها، سواء الجغرافية مثل ما حدث في التحالف المغربي التونسي، أم الاقتصادية مثل الأطماع الفرنسية في جزيرة طبرقة.

- لقد أظهرت لنا هذه الحروب التي اندلعت بين الإيالات مدى هشاشة الوضع السياسي في الإيالات، وهو ما يظهر بشكل واضح في كثرة الاغتيالات والتمردات، كما كشفت لنا مدى عجز هذه الإيالات في خوض حروب برية طويلة المدى والتي تتطلب قدراً كبيرا من الإمدادات والتعبئة والموارد، وهو الأمر الذي ترتب عنه الكثير من التمردات خاصة في الجزائر.

10. التعليقات:

- **التعليق (1)**: هو ابن يوسف داي، عين دايا على تونس في 02 شوال 1093هـ (04 أكتوبر 1682م) خلفا للداي محمد طاباق. للمزيد يُنظر: (مقديش، 1988، ص 119)
- **التعليق (2)**: عيّن دايا على الجزائر خلفا للداي بابا حسن سنة 1682م، استهل حكمه بالصراع مع فرنسا، تمردت عليه االنكشارية ففرّ إلى تونس ثمّ إلى القسطنطينية أين عينه السلطان العثماني قبطان باشا الأسطول. للمزيد يُنظر: (عباد، 2007، ص 142 -144)
- **التعليق (3)**: هو كاهية محمد باي وخليفته وصهره على أخته، نقم على الباي محمد ففرّ إلى الجزائر سنة 1691 وحرّض دايها على قتال باي تونس، أصبح بايا على تونس بعد هزيمة محمد باي في أواخر سنة 1105هـ (1694)م لكنّ حكمه لم يدم طويلا حيث تمكن الباي محمد من هزيمته وقتله وبذلك استرجع ملكه سنة 1106هـ (1695م). للمزيد يُنظر: (المسعودي، 2012، ص 234).
- **التعليق (4)**: هو رابع دايات الجزائر تولى الحكم بعد الداي حسن ميزمورتو سنة 1689م، انتهى حكمه مقتولا على يد الانكشارية سنة 1695م. للمزيد يُنظر: (صحراوي، 2017، ص 549 -550)
- **التعليق (5)**: هو من أصول كرغلية يُلقب بشائب العين تولى حكم طرابلس الغرب بعد إبراهيم الترزي. لمزيد يُنظر: (ابن غلبون، 1349 ، ص 142).
- **التعليق (6)**: كان الداي شعبان غاضبا من قيام محمد باي التونسي بتحريض بعض قبائل الحدود للانظمام إليه، كما استنكر استيلاءه على أجزاء من إيالة طرابلس. للمزيد يُنظر: ((بالحميسي، د – س، ص 56)
- **التعليق (7)**: هو إسماعيل بن شريف ثالث سلاطين الأسرة العلوية في مغرب، تولى الحكم بعد وفاة أخيه الرشيد سنة 1082هـ. للمزيد يُنظر: (الضعيف، 1986، ص57).
- **التعليق (8)**: مراد باي ابن علي هو آخر بايات الأسرة المرادية بتونس، ثار ضدّ عمه بجبل وسلات وتمكن من الانتصار عليه ثم قتله، بويع سنة 1699، ودام حكمه إلى غاية سنة 1702م، اشتهر بحملته ضدّ الجزائر سنة 1700م. للمزيد يُنظر: (مقديش، 1988، ص 143- 144).
- **التعليق (9)**: هو عثمان القهواجي الدرغوثلي كان يطبخ القهوة بسوق الترك. للمزيد يُنظر: (ابن غلبون، 1349 ، ص 152).
- **التعليق (11)**: هو آغا صبايحية الترك، كلّفه مراد باي بجل الجند من بلاد الترك، وهو من قام بقتل مراد باي أثناء حملته على الجزائر، تولى الحكم ما بين 1702 إلى 1705. لمزيد يُنظر: (مقديش، 1988، ص 146-147).
- **التعليق (10)**: تذكر الحوليات الليبية أن خليل باشا فرّ إلى مصر. يُنظر: (فيرو،1994، ص 236 -237).
- **التعليق (12)**: هو علي بن محمد بن علي ابن أخ حسين بن علي باشا، ولاه عمّه منصب باي المحال ثم عزله وهو ما أثار غضب ابن أخيه فثار ضدّه مستعينا بعساكر الجزائر. تولى حكم تونس سنة 1735. للمزيد يُنظر: (روسو، د- س، ص 166).

11. قائمة المراجع:

- ابن العنتري صالح. (2009). تاريخ قسنطينة فريدة منسية. تح: يحي بوعزيز. الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
- ابن المفتي حسن بن رجب شاوش. (2009). ط1. تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها. تح: فارس كعوان. الجزائر: بيت الحكمة.
- **ابن غلبون الطرابلسي. (1349). تاريخ طرابلس الغرب المسمى بالتذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار. تح: الطاهر حمد الزاوي الطرابلسي. القاهرة: المطبعة السلفية.**
- ابن ميمون الجزائري. (2018).ط 1. التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية. تح: محمد بن عبد الكريم. الجزائر: دار الوعي.
- أحمد النائب الأنصاري. (د – س) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب. ج1. طرابلس: منشورات مكتبة الفرجاني.
- ألفونص روسو. (د – س). الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى الاحتلال الفرنسي للجزائر. تح وتر: محمد عبد الكريم الوافي. بنغازي: منشورات جامعة قار يونس.
- حنيفي هلايلي. (2008). ط1. أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني. عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
- شال فيرو. (1994). ط3. الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي. تر: محمد عبد الكريم الافي. بنغازي: منشورات جامعة قار يونس.
- عباد صالح. (2007). ط1. الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830. الجزائر: دار هومه.
- عمار بن خروف. (2017). العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن 18م. تيزي وزو: دار الأمل.
- محمد الضعيف الرباطي. (1986). ط1. تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة). تح: أحمد العماري. الرباط: دار المأثورات.
- محمود مقديش. (1988). **ط1**.نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار. مج2.تح: علي الزواري وآخرون. لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- المسعودي الباجي. (2012). ط1. الخلاصة النقية في أمراء إفريقية. تح: محمد زينهم محمد عزب. القاهرة: دار الآفاق العربية.
- هنية عبد الحميد . (2016). ط1. تونس العثمانية ضبط الدولة والمجال من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر. تونس: أوتار تبر الزمان.
- Eugène Plantet . (1894). Correspondence Des Beys de Tunis. 1770-1830 . T 2. Paris : Ancienne Librairie germer Bailliere et felix Alcan.
- **الاطروحات والرسائل الجامعية:**

- حصام صورية. (2013). العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر. مذكرة ماجستير غير منشورة. قسم التاريخ وعلم الآثار جامعة وهران.

- خرنق مبروكة. (2012) العلاقات التونسية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1605- 1705) سياسيا وتجاريا. مذكرة ماجستير غير منشورة. المركز الجامعي بغرداية.
- سحابات زهيرة، (2020). الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني 1628 – 1830. أطروحة دكتوراه غير منشورة. جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس.
-
- سناء الطالبي. (2014). أزمة الحكم المرادي بالبلاد التونسية وانعكاساتها المجالية (1675-1702). رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التاريخ، جامعة تونس.
- محمد عطية. (2020). التحالفات الإقليمية والدولية ضدّ إيالة الجزائر 1541 – 1830. أطروحة دكتوراه غير منشورة. جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس.
- **المقالات والأبحاث المنشورة بالمجلات العلمية:**

- صحراوي عبد القادر ومحمد عطية، (مارس 2017). مشروع توحيد الإيالات المغاربية في عهد الداي شعبان 1688 – 1695. مجلة الحوار المتوسطي.(15- 16)، 547 -563.
- مولاي، بالحميسي. إرشاد الحيران في أمر الداي شعبان. مجلة الدراسات التاريخية. 01، (02)، 39- 56.